اوصفة لمؤصدة قاله ابو البقاء اى كائنة فى عمد ممددة بان توصد عليهم الابواب و تمد على الابواب العمد المطولة التى هى ارسخ من القصيرة استيثاقا فى استيثاق لايدخلها روح ولا يخرج منها غم وفيه اشارة الى ايثاقهم وربطهم فى عمد اخلاقهم واوصافهم واعمالهم ومدهم فى ارض الذل والهوان والخسران لان اهل الحجاب لاعزلهم نسأل الله تعالى ان لايذلنا بالاحتجاب انه الوهاب

تفسير سورة الفيل خمس آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل ﴾ الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والهمزة لتقرير رؤيته بانكار عدمها و كيف معلقة لفعل الرؤية منصوبة بما بعدها والرؤية علمية لان النبى عليه السلام ولد عام الفيل ولم يرهم والمراد باصحاب الفيل ابرهة وقومه وبالفيل هو الفيل الاعظم الذى اسمه محمود وكنيته ابو العباس كما سيجيئ و نسبوا اليه لانه كان مقدمهم والمعنى الم تعلم علما رصينا متاخما للمشاهدة والعيان باستماع الاخبار المتواترة ومعاينة الآثار الظاهرة و تعليق الرؤية بكيفية فعله تعالى لابنفسه بان يقال الم تر مافعل ربك الخ لتهويل الحادثة والايذان بوقوعها على كيفية هائلة وهيئات عجيبة دالة على عظم قدرة الله و كمال علمه و حكمته و عزة بيته وشرف رسوله فان ذلك من الارهاصات والارهاص ان يتقدم على دعوى النبوة مايشبه المعجزة تأسيسا لها ومقدمة كاظلال الغمام له عليه السلام وتكلم الحجر والمدر معه قال بعضهم الارهاص الترصد سميت الامور الغريبة التى وقعت للنبى عليه السلام ارهاصات لان كلامنها مما يترصد بمشاهدته نبوته فالارهاص انما يكون بعد وجود النبى وقبل مبعثه وفى كلام بعضهم ان الارهاص يكون قبل وجوده ايضا قريبا من عهده كما دل عليه قصة الفيل ورجحوا الاول فان قيل اتحاد السنة بان يكون وقوع القصة عام المولد امر اتفاقى لايمنع عن كون الواقعة لتعظيم الكعبة قلنا شرفها ايضا بشرف مكانه عليه السلام ألا يرى أنه تعالى كيف قيد الاقسام بالبلد بحلوله عليه السلام فيه حيث قال لااقسم بهذا البلد و انت حل بهذا البلد قال فى فتح الرحمن كان هذا عام مولد النبى عليه السلام فى نصف المحرم وولد عليه السلام فى شهر ربيع الاول فبين الفيل و مولده الشريف خمس و خمسون ليلة وهى سنة ستة آلاف و مائة وثلاث وستين من هبوط آدم على حكم التواريخ اليونانية المعتمدة عند المؤرخين و بين قصة الفيل والهجرة الشريفة النبوية ثلاث و خمسون سنة والمقصود من تذكير القصة اما تسلية النبى عليه السلام بأنه سيجزى من يظلمه كما جزى من قصد الكعبة واما تهديد الظلمة وتفصيلها أن ملك حمير وما حولها وهو ذونواس اليهودى لما احرق المومنين بنار الاخدود ذات الوقود على ماسبق فى سورة البروج هرب رجل منهم الى ملك الحبشة وهو اصحمة بن بحر النجاشى بتخفيف الياء الذى اسلم فى عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم و اخبره بذلك وحرضه

على قتال ذى نواس فبعث اصحمة سبعين ألفا من الحبشة الى اليمن وامر عليهم ارياطا ومعه فى جنده فى جنده ابرهة بن الصباح الاشرم و معنى ابرهة بلسان الحبشة الابيض الوجه وسيجيء معنى الاشرم فركبوا البحر حتى نزلوا ساحلا مما يلى الارض اليمن وهزم ارياط ذانواس و قتله فى المعركة اوالقى هو نفسه فى البحر فهلك و استقر امرار ياط فى ارض اليمن زمانا و اقام فيها سنين فى سلطانه ذلك ثم نازعه ابرهة فى امر الحبشة فكان من امرآء الجند فتفرقت الحبشة فرقتين فرقة مع ارياط وفرقة مع ابرهة فكان الامر على ذلك الى ان سار احدهما الى الآخر فلما تقارب الفرقتان للقتال ارسل ابرهة الى ارياط أنك لاتفعل شيأ بان تفرى الحبشة بعضها ببعض حتى تفنيها فابرزلى و ابرزلك فأينا اصاب صاحبه انصرف اليه جنده فارسل اليه ارياط ان قد انصفت فاخرج فخرج اليه ابرهة وكنيته ابو يكسون وكان رجلا قصير الجثمان لحيما ذا دين فى النصرانية وخرج اليه ارياط وكان رجلا طويلا عظيما وفى يده حربة و خلف ابرهة غلام يقال له عتودة يمنع ظهره فرفع ارياط الحربة فضرب ابرهة يريد يافوخه فوقعت الحربة على جبهة ابرهة فشرمت حاجبه وانفه وعينه وشفتيه اى شقت وقطعت وخدشت فبذلك سمى ابرهة الاشرم وحمل عتودة على ارياط من خلف ابرهة فقتله و انصرف جند ارياط الى ابرهة فاجتمعت عليه الحبشة فى اليمن بلا منازع و كان ما صنع ابرهة من غير علم النجاشى فلما بلغة ذلك غضب غضبا شديدا فقال عدا على اميرى فقتله بغير امرى ثم حلف لايدع ابرهة حتى يطأ بلاده و يجز ناصيته فلما بلغ هذا الخبر ابرهة حلق رأسه وملأ جرابا ترابا من تراب اليمن ثم بعث به الى النجاشى مع هدايا جليلة كثيرة وكتب اليه ايها الملك انما كان ارياط عبدك وانا عبدك فاختلفنا فى امرك وكل طاعة لك الا انى كنت اقوى على امر الحبشة واضبط له واسوس منه وقد حلقت رأسى حين بلغنى قسم الملك وبعثت اليه بجراب تراب من ارضى ليضعه تحت قدميه فيبر قسمه فى فلما وصل كتاب ابرهة الى النجاشى لان ورضى عنه وكتب اليه ان ابعث بارض اليمن حتى يأتيك امرى فأقام ابرهة باليمن ثم انه رأى الناس يتجهزون ايام الموسم الى مكة لحج بيت الله الحرام فتحرك منه عرق الحسد فبنى بصنعاء كنيسة من رخام ملون وفى بعض التفاسير ودرو ديوار آنرا بزر وجواهر مرصع ومزين كردانيد ، وفى انسان العيون واجتهد فى زخرفتها فجعل فيها الرخام المجزع والحجارة المنقوشة بالذهب وكان ينقل ذلك من قصر بلقيس صاحبة سليمان عليه السلام وجعل فيها صلبانا من الذهب والفضة ومنابر من العاج والابنوس وسماها القليس لجميز لارتفاع بنائها وعلوها ومنها القلانيس لانها فى اعلى الرأس واراد ان يصرف اليها الحاج وفى كشف الاسرار چون رسول ابرهه با آن هديها پيش ملك نجاشى رسيد وآن پيغام بداد ملك ازوخشنود شد وولايت يمن جمله بدو ارزانى داشت وبوى تسليم كرد چون آن رسول بنزديك ابرهه باز آمد ابرهه شادشد وبشكرانكه ملك ازوخشنود كشت وزراء وعقلاء مملكت خويش جمع كرد وايشانرا كفت مراراهى سازيد بعملى كه ملك راخوش آيدواو

را دران عزی وجالی بودتا آراشکر نعمت عفو اوسازم ایشان همه متفق شدندکه عرب راخانه ایست معظم ومقدس وشرف جمله عرب بدان خانه است ومردمان شرق وغرب روی بدان خانه دارند وآن خانه ازسنك است تو درصنعاء یمن کنیسهٔ بساز برنام ملك وبردین ترسایی‌که دین نجاشی‌است واساس آن از زروسیم والوان جواهر کن وکسی فرست باطراف زمین ودیار عرب وایشانرا بخوان وبزر وسیم وتحفها وهدیها ایشانرا ازغبق کن تا عالمیان روی بدان کنیسه نهند وآنجا طواف کنند وملك عزی وجالی باشد ابرهه همچنان کردکه ایشان گفتند وآن کنیسه بدان صفت بساخت وازهر طمع مال وزروسیم خلق روی بدان کنیسه نهادند وهرکه آنجا رفتی باهدیه وتحفه بازگشتی . وکتب ابرهة الی‌النجاشی ایها الملك انی بنیت لك کنیسة لم یبن مثلها لملك قبلك ولست ارضی حتی‌اصرف الیها حاج العرب فلما تحدث العرب بکتاب ابرهة ذلك الی النجاشی غضب رجل من بنی کنانة حتی اتی القلیس (وفی کشف الاسرار) وخبر در اطراف افتادکه ازحج وزیارت وطواف که درمکه وخانهٔ عرب بود باین افتاد ودران وقت رئیس مکه عبد المطلب بود مردی ازعرب ازساکنان مکه نام وی زهیر بن بدر ازعبد المطلب درخواست وسوکند خوردکه من بروم ودرخانهٔ ایشان حدث کنم برخواست وآنجاشد وچند روزآنجاعبادت کرد رتبهٔ مجاورت یافت شبی گفت من میخواهم که اینجا امشب عبادت کنم که مراسخت نیکو وخوش آمده است این بقعه اورا آن شب آنجا تنها بگذاشتند ودران خانه مسك وعنبر فراوان بودر پیوسته بوی خوش ازان مید مید زهیرآنجا حدث کرد وهمه دیوار ومحراب نجاست بیالود آنکه آهنك بیرون کردوبکر بخت این خبردرآفاق وافطار منتشر گشت ومردم ازطواف آن متنفر ابرهه ازین حال آگاه شد ومتأثر گشت دانستکه این مرد ازمکه بود واز مجاوران کعبه سوکند خوردکه من بالشکر وحشم بروم وآن خانهٔ ایشان خراب کنم وبازمین برابر حتی لایحجه حاج ابدا . وفی حواشی ابن الشیخ کان اصل مقصوده من هدم البیت ان یصرف الشرف الحاصل لهم بسبب الکعبة منهم ومن بلدتهم الی نفسه والی بلدته . ورسولی فرستاد بحبشه وملك راخبرکرداز آنچه زهیر کرداند ران کنیسه واز رفتن خویش سوی مکه وخراب کردن کعبه * فخرج بالحبشة وکفته اندنجاشی بیلان بسیار فرستاد ولشکر وحشم . وقال السجاوندی اغتم النجاشی لذلك وعزاه ابرهة وحجر من قواده وابویکسوم وزیره وقال لاتحزن ان لهم کعبة هی‌فخرهم فنکسف ابنیتها وتیبس دماءها ونذهب اموالها فخرج ابراهة بجند کثیر وجم غفیر ومعه فیل ابیض اللون وهوفیل النجاشی بعثه الیه بسؤاله وکان فیلا لم یر مثله عظما وجسما وقوة یعنی بعظمت حنه مشابه کوه بود

سهیکل قوی راست چون کوه قاف . چوشیرغرین چابك اندر مصاف

ومن شأن الفیل المقاتلة ولذلك کان فی مربط ملك الصین ألف فیل ابیض وهو مع عظم

صورته ضعيف يخاف من السنور ويفزع منه وكان دليلهم كبير ثقيف وهو ابورغال رجم العرب قبره حين مات كما فى كتاب التعريف والاعلام للامام السهيلى رحمه الله وفى كشف الاسرار ابورغال: وراه هلاك شد وكوروى معروفست براه يمن حاج بمن جون آنجا رسند با آن كوروى سنك اندازند . حتى صار كالجبل العظيم وفى ذلك يقول جرير فى الفرزدق الشاعر

* اذا مات الفرزدق فارجموه * كما ترمون قبر ابى رغال *

وفى القاموس ابورغال ككتاب فى سنن ابى داود ودلائل النبوة وغيرهما عن ابن عمر رضى الله عنهما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرجنا معه الى الطائف نمر بقبر فقال هذا قبر ابى رغال وهو ابو ثقيف وكان من ثمود وكان بهذا الحرم يدفع عنه فلما خرج منه اصابته النقمة التى اصابت قومه بهذا المكان فدفن فيه الحديث وقول الجوهرى كان دليلا للحبشة حين توجهوا الى مكة فمات فى الطريق غير جيد وكذا قول ابن سيدة كان عبد الشعيب وكان عشارا جائرا انتهى كلامه . ابرهه چون باطراف حرم رسد بيرون حرم نزول كرد . وبعث رجلا من الحبشة يقال له الاسود حتى انتهى الى مكة فساق اليه اموال تهامة يعنى هرچه درحوالى شهر مكه شتربود وكوسفند غارت كرد ودرجمله دويست سرشتر ازان عبد المطلب كه بوقت حاج كرده بود بغارت بردند . وقال بعضهم فلما بلغ المغمس وهو كمعظم ومحدث موضع بطريق الطائف فيه قبر ابى رغال دليل ابرهه ويرجم كما فى القاموس اى على ما اشتهر والا فاقض كلامه السابق خرج اليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث اموال تهامة ليرجع فأبى وفى شرح البردة للمرزوقى لما نزل المغمس بعث حناطة الحميرى الى مكة وقال له سل عن سيد هذا البلد وشريفهم وقل له ان الملك يقول انى لم آت لحربكم انما جئت لهدم هذا البيت فان لم تتعرضوا دونه لحرب فلا حاجة لى بدمائكم فان هو لم يرد حربى فائتنى به وفى كشف الاسرار ابرهه چون آنجا نزول كرد هيبت خانهٔ كعبه دردل وى اثر كرد وازان قصدكه داشت پشيمان كشت ودردل خود ميخواست كه كسى درحق خانه شفاعت كند تا با زكردد وبطرف وكه رئيس مكه رابيارند ورئيس مكه آنكاه عبد المطلب بود باجمعى بنى هاشم بنزديك ابرهه آمد وآن مردكه فرستاده بود پيش ازرسيدن عبد المطلب درپيش ابرهه شد . وقال المرزوقى رحمه الله استان لعبد المطلب بعض وزرآئه يقال له انيس سائس الفيل وكفت قدجاءك سيد قريش وصاحب عير مكة الذى يطعم الناس فى السهل والوحوش فى رؤوس الجبال حقا مردى مى آيد بحضرت تو كه بدرستى وراستى سيد قريش است مردى كريم طبع نيكوروى باسيادت وباسخاوت وباهيبت وانكه ازوى نورهمى تابدكه منظروى بترسانيد يعنى نور مصطفى عليه السلام از پيشانى وى همى تافت ابرهه خويشتن رازى نيكو بيا راست وبرتخت نشت وعبدا المطلب را اجازت دار چون در آمد نخواست كه او را باخود برتخت نشاند يعنى كره ان تراه الحبشة مجالس على سرير ملكه ازتخت بزير آمد وباعبد المطلب به پايان تخت بنشست واورا احلال كرد ونيكو بنواخت سخنان وى اوراخوش آمد

وباخود كفت اكردرحق خانه شفاعت كنداورا نوميدنكنم پس ترجمانرا كفت تاحاجتى كه دارد بخواهد عبد المطلب كفت حاجت من اينست كه دويست شترازان من بياورده اند وكانت ترعى بذى المجاز بفرماى تاباز دهند ابرهه را ازان انده آمدترجمانرا كفت پيرس ازوى تاچرا ازبهرخانهٔ كعبه حاجت نخواست خانهٔ كه شرف وعزشما بآنست وسبب عصمت وحرمت شما آنست درقديم دهرومن آمده ام تاآنرا خراب كنم مى نخواهى اين اشترانراچه خطر باشدكه ميخواهى قال عبدالمطلب انارب الابل والبيت رب يحفظه كما حفظه من تبع وسيف بن ذى يزن وكسرى ابرهه ازين سخن درخشم شد وكفت ردوا عليه بعيرانه لينظر من يحفظ البيت منى عبد المطلب بازكشت وميكانرا فوموده هرچه داشتند ازمال ومتاع بركرفتند وباكوه شدند ومكه خالى كردندای نخوفا من معرة الجيش فجهز ابرهة جيشة وقدم الفيل الاعظم المذكور فكان كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح كما بركت القصواء فى الحديبية حتى قال عليه السلام حبسها حابس الفيل ومعنى بروك الفيل سقوطه على الارض لما جاء من امر الله اولزوم موضعه كالذى برك والافالفيل لايبرك كما قال عبد اللطيف البغدادى الفيلة تحمل سبع سنين واذاتم حملها وارادت الوضع دخلت النهر حتى تضع ولدها لانهاتلد وهى قائمة ولافواصل لقوائمها فتلد والذكر عند ذلك يحرسها وولدها من الحيتان انتهى وقال بعضهم الفيل صنفان صنف لايبرك وصنف يبرك كالجمل انتهى واذا وجوه الى اليمن اوالى غيره من الجهات هرول والهرولة كالدحرجة مابين المشى والعدو وامر ابرهة ان يسقى الفيل الخمر ليذهب تميزه فسقوه فثبت على امره وكفته اند نفيل ابن حبيب الخثعمى كوش آن فيل كرفت وكفت ابرك محمود وارجع راشدا من حيث جئت فانك فى بلدالله الحرام چون ابن سخن بكوش پيل فروكفت بازكشت وپاى درحرم نهاد ونفيل هذا قاتل ابرهة بأرض خثعم وهوجبل وأهله خثعميون وأبو قبيلة فهزمه ابرهة فاخذ اسيرا فلما اتى به وهم ابرهة بقتله قال ايها الملك لاتقتلنى فانى دليلك بارض العرب فخلى سبيله وخرج به معه يدله على ارض العرب حتى اذامر بالطائف رأى اهله ان لاطاقة لهم به فانقادوا له وبعثوا معه بأبى رغال فانزلهم بالمغمس وهو على ستة اميال من مكة ومات ابو رغال هناك وقبره المرجوم فيه كما فى بعض التفاسير قال المرزوقى رأى العرب جهاد ابدعة حقا عليهم فكانوا يجتمعون اقتاله فى الطريق قبائل قبائل فهزمهم ابرهة ومن جملة من هزمهم واسرهم نفيل بن حبيب اخذه و ماقتله ليكون دليلاله واخذ عبدالمطلب بحلقة البيت ودعا وقال (لاهم ان المرء يحمى رحله فامنع حلالك) (لايغلبن صليبهم ومحالهم غدوا محالك) وذلك انهم كانوا نصارى أهل صليب ولاهم اصله اللهم فان العرب تحذف الالف واللام وتكتفى بما يبقى والحلال بكسر الحاء المهملة جمع حلة وهى البيوت المجتمعة والمحال بكسر الميم الشدة والقوة والغدو بالغين المعجمة اصل الغد وهو اليوم الذى يأتى بعد يومك الذى انت فيه فالتفت وهو يدعو فاذا بطير فقال والله انها لطيرغريبة لانجدية ولاتهامية ولاحجازية وان لها لشأنا وفى حواشى

ابن الشيخ كان عبد المطلب وابو مسعود الثقفي يشاهدان من فوق الجبل عسكر ابرهة فأرسل الله طيرا سودا صغر المناقير خضر الاعناق طوالها اوحضرا اوبيضا او بلقا اوحماما كما سئل من ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن الطير فقال حمام مكة منها وقد يقال ان هذا اشتباه لان الذي قيل فيه انه من نسل الابابيل انما هو شئ يشبه الزرازير يكون ببلاد ابراهيم من الحرم والافحمام الحرم من نسل الحمام الذي عشش على فم الغار والزرازير جمع زرزور بضم الزاي طائر صغير من نوع العصفور سمي بذلك لزرزرته اي لصوته وعن عائشة رضي الله عنها كانت تلك الطير الابابيل اشباه الخطاطيف والوطاويط وقد نشأت في شاطئ البحر ولها خراطيم الطير وأكف الكلاب وانيابها وقال ابن جبير لم ير مثلها لاقبلها ولابعدها وقال عكرمة هي عنقاء مغرب وفي الخبر انها طير بين السماء والارض تعيش وتفرخ وقيل من طير السماء قيل جاءت عشية ثم صبحتهم مع كل طائر حجر في منقاره وحجران في رجليه أكبر من العدسة واصغر من الحمصة وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه رأى منها عند امهاني نحو قفيز مخطط بحمرة كالجزع القلفادي وظفار كقطام بلد باليمن قرب صنعاء ينسب اليه الجزع وارسلت ريح فزادته شدة فكان الحجر يقع على رأس كل واحد منهم فيخرج من دبره وينفذ من الفيل ومن بيضهم فيخرق الارض وعلى كل حجر اسم من يقع عليه قال القاشاني والهام الوحوش والطيور أقرب من الهام الانسان لكن نفوسهم ساذجة وتأثير الاحجار بخاصية او دعاء الله تعالى فيها ليس بمستنكر ومن اطلع على عالم القدرة وكشف له حجاب الحكمة عرف لمية امثال هذه وقد وقع في زماننا مثلها في استيلاء الفأر على مدينة إبي يوزد وافساد زروعهم ورجوعها في البرية الى شط جيحون واخذ كل واحدة منها خشبة من الايك التي على شط النهر وركبوها عليها وعبورها من النهر فهي لاتقبل التأويل كأحوال القيامة وامثالها انتهى وعن عكرمة كل من اصابته الحجارة جدري وفي الخبران اول ماوقعت الحصبة والجدري بأرض العرب ذلك العام ففروا وهلكوا في كل طريق ومنهل قال بعضهم فلم تصب منهم احدا الاهلك وليس كلهم اصيب كما قال في انسان العيون ثم ركب عبد المطلب لما استبطأ مجيء القوم الى مكة ينظر ما الخبر فوجدهم قد هلكوا اى غالبهم وذهب غالب من بقي تاعسمل ماشاء الله من صفراء وبيضاء . ثم اعلم اهل مكة بهلاك القوم فخرجوا فانتهبوا انتهى يعني والذي سلم منهم ولى هاربا مع ابرهة الى اليمن يتدر الطريق وصاروا يتساقطون بكل منهل . وقال الكاشفي وبيك نفس قوم ابرهه متأصل شدند وآن پيلان نيزهمه هلاك كشتند . وقال بعضهم ولم يسلم الا كندى فقال

* أكندة لورأيت ولوترينا * بجنب ربا المغمس مالقينا *
* حسبنا الله ان قدبث طيرا * وظل سحابة تهمي علينا *

واخذ ابرهة داء اسقط انامله واعضاءه ووصل الى صنعاء كذلك وهو مثل فرخ الطير

ومامات حتى انصدع صدره عن قلبه فملك اليمن ابنه يكسوم بن ابرهة و انفلت وزيره ابويكسوم وطائر يحلق فوقه حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة فلما اتمها وقع عليه الحجر فخرميتا بين يديه فارى الله النجاشي كيف كان هلاك اصحابه وقال بعضهم همه هلاك شدندمكر ابرهه كه مرغ بر سروى ايستاد وازمكه بيرون شدروى بحبشة نهاد وآن مرغ برهوا برسروى همى بود واونمى دانست تا درپيش نجاشي شد چون ابرهه صورت حال بعرض نجاشي رسانيد نجاشي از روى تعجب پرسيدكه چگونه مرغان بودندكه چندين مبارزانرا هلاك كردند ابرهه رادرين حال نظر بران مرغ افتاد كفت اى ملك يكى اذان مرغان اينست همان لحظه آن مرغ سنكى كه داشت بنامروى برسرش افكند وهم درنظر نجاشي هلاك شدوازين صورت آيت عبرتى برصحيفهٔ دل نجاشي منقش كشت .

نوشت خامهٔ تقدير برجريدهٔ دهر . خطى كه فاعتبروا ياولى الابصار

وعن عائشة رضى الله عنها رأيت قائد الفيل وسائسه اعميين مقعدين يستطعمان الناس ويعلم من ذلك انهما من جملة من سلم من قوم ابرهة ولم يذهبا بل بقيا بمكة كما فى انسان العيون وفى حواشى ابن الشيخ كان عبدالمطلب وابومسعود الثقفى يشاهدان من فوق الجبل عسكر ابرهة حين رماهم الطير بالحجارة فهلكوا فقال عبد المطلب لصاحبه صار القوم بحيث لايسمع لهم ركز اى حس فانحطا من الجبل فدخلا المعسكر فاذاهم موتى فجمعا من الذهب والجواهر وحفر كل منهما لنفسه حفرة وملأها من المال وكان ذلك سبب غناهما وفى كلام سبط ابن الجوزى وسبب غنى عثمان بن عفان ان اباه عفان وعبدالمطلب وابا مسعود الثقفى لماهلك ابرهة وقومه كانوا اول من نزل مخيم الحبسة فأخذوا من اموال ابرهة واصحابه شيأ كثيرا ودفنوه عن قريش فكانوا اغنياء قريش واكثرهم مالا ولما مات عفان ورثه عثمان رضى الله عنه ثم انه يرد على ما ذكران الحجاج خرب مكة بضرب المنجنيق فلم يصبه شئ ولم يستعجل عذابه ويجاب بأن الحجاج لم يجئ لهدم الكعبة ولالتخريبها ولم يقصد ذلك وانما قصد التضييق على عبد الله بن الزبير رضى الله عنه ليسلم نفسه وفيه انه قد يشكل كونه حرما آمنا وجاء فى حق الحجاج ان عليه نصف عذاب العالم ويرد عليه ايضا قصة القرامطة وهى ان ابا سعيد كبير القرامطة وهم طائفة ملاحدة ظهروا بالكوفة سنة سبعين ومائتين يزعمون ان لاغسل من جنابة وحل الخمر وانه لاصوم فى السنة الا يومى النيروز والمهرجان ويزيدون فى اذانهم وان محمد بن الحنيفة رسول الله وان الحج والعمرة الى بيت المقدس وافتتن بهم جماعة من الجهال و اهل البرارى وقويت شوكتهم حتى انقطع الحج من بغداد بسببه وسبب ولده ابى طاهر فان ولده ابا طاهر بنى دارا فى الكوفة وسماها دار الهجرة وكثر فساده واستيلاؤه على البلاد وقتله المسلمين وتمكنت هيبته من القلوب وكثرت اتباعه وذهب اليه جيش الخليفة المقتدر بالله السادس عشر من خلفاء بنى العباس غير مامرة وهو يهزمهم ثم ان المقتدر سير ركب الحاج الى مكة فوافاهم ابو طاهر يوم التروية فقتل الحجيج بالمسجد الحرام وفى جوف الكعبة قتلا ذريعا والقى

القتلى فى بئر زمزم وضرب الحجر الاسود بدبوس فكسره ثم اقتلعه و اخذه معه وقلع باب الكعبة ونزع كسوتها وسقفها وقسمه بين اصحابه وهدم قبة زمزم وارتحل عن مكة بعد ان اقام بها احد عشر يوما ومعه الحجر الاسود وبقى عندالقرامطة اكثر من عشرين سنة وكان الناس يضعون ايديهم محله للتبرك ودفع لهم فيه خمسون ألف دينار فأبوا حتى اعيد الى موضعه فى خلافة المطيع لامرالله وهو الرابع والعشرون من خلفاء بنى العباس بعد اشترآئه منهم وجعل له طوق فضة شد به رتته ثلاثة آلاف وسبعمائة وتسعون درهما ونصف قال بعضهم تأملت الحجر وهو مقلوع فاذا السواد فى رأسه فقط وسائره ابيض وطوله قدر عظم الذراع وبعدالقرامطة فى سنة ثلاث عشرة واربعمائة قام رجل من الملاحدة وضرب الحجر الاسود ثلاث ضربات بدبوس فتشقق وجه الحجر من تلك الضربات وتساقطت منه شظيات مثل الاظفار و خرج بكسره فتات اسمر يضرب الى الصفرة محببا مثل حب الخشخاش فجمع بنوا شيبة ذلك الفتات وعجنوه بالمسك والمك و حشوه فى تلك الشقوق وطلوه بطلاء من ذلك . يقول الفقير لعل الجواب عن مثل هذا ان الاستئصال وما يقرب منه مرفوع عن هذه الامة واكثر ماكان من خوارق العادات كان فى الامم السالفة وليست الكعبة بأفضل من الانسان الكامل وقد جرت عادة الله على التسامح عن بعض من يعاديه بل يقتله وان كان اشتد غضبه عليه فهو يمهل ولايهمل ولعنة الله على الظالمين ﴿ الم يجعل كيدهم فى تضليل ﴾ الهمزة للتقرير وضلال كيده اذا جعله ضالا ضائعا ونحوه قوله تعالى وما كيد الكافرين الا فى ضلال وضل الماء فى اللبن اذا ذهب وغاب والمعنى قد جعل مكرهم و حيلتهم فى تعطيل الكعبة عن الزوار وتخريبها فى تضييع وابطال بان اهلكهم اشنع اهلاك وجزاهم بعد اهلاكهم بمثل ماقصدوا حيث خرب كنيستهم قال فى انسان العيون لما اهلك صاحب الفيل و قومه عزت قريش وهابتهم الناس كلهم وقالوا هم اهل الله لان الله معهم ومزقت الحبشة كل ممزق وخرب ماحول تلك الكنيسة التى بناها ابرهة فلم يعمرها احد و كثرت حولها السباع والحيات و مردة الجن و كل من أراد أن يأخذ منها شيا اصابته الجن و استمرت كذلك الى زمن السفاح الذى هو اول خلفاء بنى العباس فذكر له امرها فبعث اليها عامله الذى بالين فخربها و اخذ خشبها المرصع بالذهب والآلات المفضضة التى تساوى قناطير من الذهب فحصل له منها مال عظيم وحينئذ عفا رسمها وانقطع خبرها واندرست آثارها ﴿ وارسل عليهم طيرا ﴾ عطف على قوله ألم يجعل لان الهمزة فيه لانكار النفى كما سبق ﴿ ابابيل ﴾ صفة طيرا اى جماعات لانها كانت افواجا فوجا بعد فوج متتابعة بعضها على اثر بعض أومن ههنا وههنا جمع ابالة وهى الحزمة الكبيرة بالفارسية دسته بزرك ازحطب . شبهت بها الجماعة من الطير فى تضامها و قيل ابابيل مفرد كعبادید و معناه الفرق من الناس الذاهبون فى كل وجه وكشماطيط و معناه القطع المتفرقة وفيه انها لوكانت مفردات لاشكل قول النحاة ان هذا الوزن من الجمع يمنع صرفه لانه لايوجد فى المفردات ﴿ ترميهم بحجارة ﴾ صفة اخرى لطيرا و قرأ

ابو حنيفة رحمه الله يرميهم اى الله او الطير لانه اسم جمع تأنيثه باعتبار المعنى والحجارة جمع حجر بالتحريك بمعنى الصخرة والمعنى بالفارسية مى افكندند بدان لشكر بسنكها . يقال رمى الشئ وبه ألقاه ﴿ من سجيل ﴾ من طين متحجر وهو الآجر معرب سنك كل . وقال بعضهم متحجر من هذين الجنسين وهما سنج الذى هو الحجر وجيل الذى هو الطين او هو عام للديوان الذى كتب فيه عذاب الكفار كما ان سجينا علم للديوان الذى كتب فيه عذاب الكفار كما ان سجينا علم للديوان الذى تكتب فيه اعمالهم كأنه قيل بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدون واشتقاقه من الاسجال وهو الارسال ﴿ فجعلهم كعصف مأكول ﴾ كورق زرع وقع فيه الاكال وهو أن يأكله الدود وسمى ورق الزرع بالعصف لان شأنه ان يقطع فتعصفه الرياح اى تذهب به الى هنا و هنا شبههم به فى فنائهم وذهابهم بالكلية او من حيث انه حدثت فيهم بسبب رميهم منافذ وشقوق كالزرع الذى اكله الدود و يجوز أن يكون المعنى كورق زرع اكل حبه فبقى صفرا منه فيكون من حذف المضاف و اقامة المضاف اليه مقامه اى كعصف مأكول الحب شبههم بزرع اكل حبه فى ذهاب ارواحهم و بقاء اجسادهم او كتبن اكلته الدواب و ألقته روثا فيبس و تفرقت اجزاؤه شبه تقطع اوصالهم بتفرق اجزاء الروث و فيه تشويه لحالهم و مبالغة حسنة وهو أنه لم يكتف بجعلهم اهون شئ فى الزرع وهو التبن الذى لايجدى طائلا حتى جعلهم رجيعا الا انه عبر عن الرجيع بالمأكول واشير اليه بأول حاله على طريق الكناية مراعاة لحسن الأدب واستهجانا لذكر الروث كما كنى بالاكل فى قوله تعالى كانا يأكلان الطعام عما يلزم الاكل من التبول والتغوط لذلك فدأب القرءان هو العدول عن الظاهر فى مثل هذا المقام قال بعض العارفين من كان اعتماده على غير الله اهلكه الله بأضعف خلقه الا ترى ان اصحاب الفيل لما اعتمدوا على الفيل من حيث انه اقوى خلق الله اهلكهم الله بأضعف خلق من خلقه وهو الطير . وكفته اند كربيل نتوانى بودبارى ازبشه كم مباش كه برصورت پيل است بشه كوبد كه اكر من بقوت پيل نيستم كه بارى كشم بارى بصورت پيلم كه بار خويش بركس نيفكنم . وفيه اشارة الى ابرهة النفس المتصفة بصفة الغضب والحقد المجبولة على خلقة الفيل كالسبعية فى السبع والكبر فى النمر فارسل الله عليها طير الارواح حاملين احجار الاذكار والاوراد فأكلتها أكل الاكلة و عصفت مزروعاتهم السيئة و بطل قليس طبيعتها الجسمانية التى كانت تدعو القوى اليها لان هذه الدعوة كانت بتزيين الشطان فلا تقاوم دعوة الروح الى كعبة القلب التى كانت من الرحمن

هركه بر شمع خدا آرد تفو ٭ شمع كى ميرد بسوز دبوزار
چون توخفاشان بسى بينند خواب ٭ كين جهان ماند يتيم از آفتاب

قوله مأكول يوقف عليه ثم يكبر ولا يوصل حذرا من الايهام

تمت سورة الفيل فى يوم الخميس سابع جمادى الاولى من سنة سبع عشرة ومائة وألف